المحاضرة الثانية

مقرر التلاوة والتجويد

التعريف بالإمامين عاصم وحفص

والبسملة والاستعاذة

- إنّ أوّل مَنْ وضع قواعد التّجويد العلميّة أئمّة القراءة واللُّغة في ابتداء عصر التّأليف، وقيل: إنّ الذي وضعها هو: "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، وقال بعضهم: "أبو الأسود الدؤلي"، وقيل أيضًا: "أبو عبيد القاسم بن سلام" وذلك بعد ما كثرت الفتوحات الإسلامية، وانضوى تحت راية الإسلام كثيرٌ من الأعاجم، واختلط اللسان الأعجميّ باللِّسان العربيِّ، وفشا اللَّحنُ على الألسنة، فخشِي ولاةُ المسلمين أنْ يُفْضِي ذلك إلى التّحريف في كتاب الله، فعملوا على تلافي ذلك، وإزالة أسبابه، وأحدثوا من الوسائل ما يَكْفُل صيانة كتاب الله -عز وجل- من اللحن، فأحدثوا فيه النَّقْط والشَّكْلَ بعد أنْ كان المصحف العثماني خالياً منهما، ثمّ وضعوا قواعد التّجويد حتّى يلتزم كُلّ قارئٍ بها عندما يتلو شيئاً من كتابِ الله تعالى.

- ولقد كانت بداية النَّظم في علوم التّجويد قصيدةَ: "أبي مزاحم الخاقاني"، المُتوفّى سنة: ٣٢٥هـ، وذلك في أواخر القرن الثّالث الهجري وهي تعتبر أقدم نص نُظِمَ في علم التّجويد، وأما القراءات فلعلَّ أوّل من جمع هذا العلم في كتاب هو: "الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلاَّم" وذلك في القرن الثالث الهجري فقد ألَّف كتاب "القراءات" الذي قال عنه الحافظ الذهبي: ولأبي عبيد كتابٌ في القراءات ليس لأحدٍ من الكوفيّين مثله، توفِّي ابن سلام بمكة سنة: ٢٢٤هـ.

- وقيل إنّ أوّل من جمع القراءاتِ ودوّنَهَا: "أبو عمر حفص بن عمر الدُّوري" المتوفى سنة: ٢٤٦هـ، وقيل غير ذلك. وقد أُشْتُهِرَ في القرن الرّابع الهجري: "الحافظ أبو بكر بن مجاهد البغدادي"، وهو أوّل من أفرد القراءات السّبعة في كتاب، وقد توفي سنة: ٣٢٤هـ.
- كما أُشْتُهِرَ في القرن الخامس الهجري: "الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني"، وله تصانيفٌ كثيرةٌ في هذا الفنِّ، وأهمُّها كتاب التيسير، وقد توفي ببلاد الأندلس سنة: ٤٤٤هـ، أمّا في القرن السّادس الهجري فقد أُشْتُهِر الإمام: "القاسم بن فيُّره بن خلف الشاطبي"، وألّف "حرز الأماني ووجه التهاني"، المعروف بالشاطبيّة والتي لخَّص فيها كتاب
- "التّيسير في القراءات السبع" وعدد أبياتها "١١٧٣" بيتاً، وتوفي بالقاهرة سنة: ٥٩٠هـ.
- ثم توالى بعد ذلك الأئمّةُ الأعلامُ صارفين أعمارهم في التّسابق لخدمة هذا العلم تصنيفاً وتحقيقاً، حتّى قيَّض اللهُ -عزّ وجلّ- له إمامَ المحقِّقين أبا الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن الجزري فألَّفَ الكثير من كتب القراءات، ونظم المُقدِّمة في علم التّجويد، وهي المعروفة: "بمتن الجزريّة"، وتوفي بمدينة شيراز سنة: ٨٣٣هـ .

التعريف بالإمام عاصم

- **تنبيه:**
- يجدرُ بنا قبل أنْ نبدأ الكلام على علم التّجويد، واهتمام الأُمّة الإسلاميّة به أنْ نتعرّف على كُلٍّ مِنْ الإمام عاصم، وكذا رواية حفصٍ الذي تُقرأ القرآن بروايته حتّى يكون الدّارس على بصيرةٍ باتصال سندها إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم.
- **اسمه:** هو عاصم بن أبي النَّجُود الأسدي الكوفيّ وكنيته أبو بكر، وقيل اسم أبيه "عبد الله"، واسم أُمّه "بهدلة".
- **منزلته:** هو شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القُراءِ السّبعةِ، وكان من التّابعين الأجلاء، فقد حدَّث عن أبي رمثة رفاعة التّميمي،

- والحارث بن حسّان البكري، وكان لهما صحبة، أمّا حديثه عن أبي رمثة فهو في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وأما حديثه عن الحارث فهو في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام.
جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وقد أثنى عليه الأئمة، وتَلَقُّوا قراءته بالقبول.
- انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السُّلَمي -رضي الله عنه- حيث جلس مجلسه، ورحل النّاس إليه للقراءة من شتّى الآفاق.
- قال أبو بكر شعبة بن عياش: لا أُحْصِي ما سمعت أبا إسحاق السُّبيعي يقول: ما رأيت أحدًا أقرأَ للقرآن من عاصمٍ بن أبي النّجود، وكان عالِمًا بالسُّنّة، لُغَويًّا نحْويًّا فقيهًا.
- مَنَاقِبُهُ: أمّا مناقبه فكثيرةٌ منها: أنّ عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: رجلٌ صالحٌ خيِّرٌ ثقةٌ، فسألتُهُ أيُّ القراءةِ أحبُّ إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، قلتُ، فإنْ لم توجد؟ قال: قراءةَ عاصمٍ.
- وقال أبو بكر شعبة بن عياش: دخلت على عاصم وقد أُحتُضِرَ، فجعل يُردِّد هذه الآية: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ}، يُحَقِّقُهَا كأنّه في الصّلاة؛ لأنّ تجويد القرآن صار صار فيه سَجِيَّة.

- رُوَاتُه: روى القراءة عنه حفصٌ بن سليمان، وأبو بكر شعبة بن عيّاش، وهما أشهر الرُّواة عنه، وأبَان بن تغلب، وحمّاد بن سلمة، وسليمان بن مِهْران الأعمش، وأبو المنذر سلام بن سليمان، وسهل بن شعيب، وخلقٌ لا يُحْصُونَ.
- وروى عنه حروفاً من القرآن: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وحمزة الزَّيّات.
- وَفَاتُهُ: قيل توفي -رحمة الله عليه- آخر سنة سبع وعشرين ومائة هجرية ودفن بالسَّمَاوَةِ في اتجاه الشام، وقيل توفي بالكوفة أوّل سنة ثمانٍ وعشرين، ومائة هجريّة.

- اتصالُ سندهِ بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ: أمّا إسناده في القراءة فينتهي إلى علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما- وغيرهما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم.
- كما قرأ على زر بن حبيش الأسدي، وقرأ زر على عبد الله بن مسعود، وقرأ ابن مسعود على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم.
- وكان رحمه الله يُقْرِئ حفصًا بالقراءة التي رواها عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن علي، ويُقْرِئ شعبة بالقراءة التي رواها عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم.

ومن هذا يتضّحُ اتصال سنده برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- اتصالاً متواتراً.

التعريف بالإمام حفص بن سليمان

- اسْمُهُ: حفص بن سليمان بن الْمُغِيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي البَزَّاز -نسبة إلى بيع البَزِّ: أي الثياب - المعروف بِحُفَيْص، صاحب عاصم وربيبه: أي ابن زوجته، وأمّا كنيته فهي أبو عمر.
- ضَبْطُهُ وإتْقَانُهُ: أخذ القراءة عرضاً وتَلْقِيناً عن عاصم فأتقنها حتّى شهد له العلماءُ بذلك ولقد كان -رحمه الله- كثيرُ الحفظِ والإتقان، وقد أثنَى عليه الإمام الشّاطبي بقوله:

.... وحَفْصٌ وبالإتْقَانِ كان مُفَضَّلا

- ولذلك اُشْتُهِرَتْ روايته وتلقَّاها الأئمّة بالقبول، وليس ذلك بغريب عليه، فقد تَربَّى في بيت عاصم، ولازمَهُ وأتقنَ قراءتَهُ حتّى كان

أعلم أصحابه بها وقام بإقراء النّاس بعد وفاة عاصم فترة طويلة من الزّمان.

وقال يحيى بن معين: الرّواية الصّحيحة التي رُوِيَتْ عن عاصم رواية أبي عمر حفص بن سُليمان.

- مَنْزِلَتُهُ: قال أبو هشام الرِّفاعي: كان حفص أعلم أصحاب عاصم بقراءته، فكان مُرَجَّحاً على شُعبة بضبط الحروف.
  وقال الذهبي: هو في القراءة ثقة ثَبَتٌ ضابط.
- وقال ابن المنادي: قرأ على عاصم مراراً، وكان الأوّلُون يَعدُونَهُ في الحفظ فوق أبي بكر شعبة بن عيّاش، ويصفونه ب ضبط الحروف التي قرأها على عاصم، وأَقْرَأَ النّاس بها دهراً طويلاً.

رُوَاتُهُ: أخذ القراءة عنه عَرْضًا وسماعًا أُناسٌ كثيرون منهم: حسين بن محمد الْمَرْوَزي، وعمرو بن الصباح، وعبيد بن الصباح، والفضل بن يحيى الأنباري وأبو شعيب القواس وغيرهم.

- وِلَادَتُهُ: ولد رحمة الله عليه سنة تسعين هجريّة.
- وفاته: توفي - رحمة الله عليه - سنة ثمانين ومائة هجريّة على الصّحيح.

اتصالُ سندِهِ بالنبيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم:
قرأ حفص القرآن الكريم على الإمام عاصم الذي سبق التّعريف به، وقرأ عاصم بالرواية التي أقرأها لحفص على أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن علي -رضي الله عنه- عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم.
ولقد روي عن حفص أنّه قال: قلت لعاصم إنّ أبا بكر شعبة يخالفني في القراءة فقال: أقرأتك بما أقرأني به أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وأقرأت شعبة بما أقرأني به زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه.

الاستعاذة والبسملة

- الاستعاذةُ لُغةً: الالتجاء والاعتصام والتّحصُّن.
- واصطلاحًا: لفظ يحصل به الالتجاء إلى الله تعالى، والاعتصام والتّحصُّن به من الشّيطان الرّجيم، وهي ليست من القرآن بالإجماع، ولفظها لفظ الخبر، ومعناه الإنشاء، أي: اللهمّ أعذني من الشّيطان الرّجيم.
- حُكْمُهَا: اتفق العلماء على أنّ الاستعاذة مطلوبة ممّن يريد القراءة، واختلفوا هل هي واجبةٌ أو مندوبة؟ فذهب جمهور العلماء، وأهل الأداء: إلى أنّها مندوبة عند ابتداء القراءة، وحملوا الأمر في قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} على النّدب بحيث لو تركها القارئ القارئ لا يكون آثماً.

- وذهب بعض العلماء: إلى أنها واجبة عند ابتداء القراءة، وحملوا الأمر السابق على الوجوب، وعلى مذهبهم لو تركها القارئ يكون آثماً.
- وإلى ذلك يشير الإمام ابن الجزري بقوله:

..... واستحبْ ... تَعَوُّذٌ وقال بعضُهُم يجبْ.

- صيغَتُهَا: المختار لجميع القراء في صيغتها "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" لأنَّ هذه الصيغة أقرب مطابقةً للآية الكريمة الواردة في سورة النَّحل.
- ويجوز التّعوُّذ بغير هذه الصيغة ممّا ورد به نص نحو: "أعوذ باللهِ من الشّيطان" ونحو: "أعوذ باللهِ السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم".

- أَحْوَالُهَا: للاستعاذة عند بدء القراءة حالتان، هما: الجهر، أو الإخفاء.
- أمّا الجهر بها: فيُستحبُّ عند بدء القراءة في موضعين:

١- إذا كان القارئ يقرأ جهرًا، وكان هناك من يستمع لقراءته.
٢- إذا كان القارئ وسط جماعة يقرءون القرآن، وكان هو المبتدئ بالقراءة.

- وأمّا إخفاؤها: فيُستحبُّ في أربعةِ مواضع: ١- إذا كان القارئ يقرأ سرًّا.

٢- إذا كان القارئ يقرأ جهراً، وليس معه أحد يستمع لقراءته.
٣- إذا كان يقرأ في الصلاة سواءً كان إماماً أم مأموماً أمْ منفرداً، ولاسيما إذا كانت الصّلاة جهريّة.
٤- إذا كان يقرأ وسط جماعة، وليس هو المبتدئ بالقراءة.

- **فائدة:** لو قطع القارئ قراءته لعذرٍ طارئٍ كالعطاس، أو التّنحنح، أو لكلامٍ يتعلَّقُ بمصلحةِ القِراءة لا يعيد الاستعاذة. أمّا لو قطعها إعراضاً عن القراءة، أو لكلامٍ لا تعلُّق له بالقراءةِ ولو لِرَدِّ السّلام، فإنّه يستأنفُ الاستعاذة.
ووجه الجهر بالاستعاذة: أنْ يَنصِتَ السّامع للقراءة من أوّلِهَا فلا يفوته شيءٌ منها؛ لأنّ التعوُّذ شعارُ القراءةِ وعلامتها.
- **ووجه الإسرار بها:** ليحصُل الفرق بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن.

- **البَسْمَلَةُ:** البسملة مصدر بَسْمَلَ، أي: إذا قال بسم الله الرّحمن الرّحيم، نحو: حَسْبَلَ إذا قال حسبي الله، وحَوقَلَ: إذا قال لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.
- **حكمُ البسملةِ:** لا خلاف بين العلماء في أنّها بعض آية من سورة النَّمل، كما أنّه لا خلاف بين القراء في إثباتها في أوّل الفاتحة.
- وقد أجمع القراءُ السّبعةُ أيضاً على الإتيان بها عند ابتداء القراءة بأوّلِ أي سورة من سور القرآن سوى سورة براءة؛ وذلك لكتابتها في المصحف، ولمّا ثبت من الأحاديث الصّحيحة أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- كان لا

لا يعلم انقضاء السورة حتّى تنزل عليه "**بسم الله الرحمن الرحيم**".

وأمّا في أجزاء السور فالقارئ مُخَيَّر بين الإتيان بالبسملة أو عدمه، وإلى ذلك يشير الإمام الشّاطبيُّ:

ولا بدّ منها في ابتدائِكَ سورةً ... سواها وفي الأجزاءِ خُيِّرَ مَنْ تَلا

وأمّا بالنسبة لسورة براءة، فهي متروكةٌ في أوّلِهَا اتفاقاً.

وإلى هذا يشيرُ الإمام الشّاطبيُّ بقوله:

ومهما تَصِلْها أو بَدَأتَ براءةً ... لِتَنْزِيلِها بالسيفِ لستَ مُبَسْمِلا

- فقد علّلّ - رحمه الله - ترك البسملة في أوّلِهَا بأنّها نزلت مشتملة على السيف وكَنَّى بذلك عمّا انطوت عليه سورة براءة، من الأمر بالقتل والأخذ والحصر، ونبذ العهد، والوعيد والتّهديد، وفيها آية السيف وهي الآية رقم: "٢٩" والتي يقول الله تعالى فيها: " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ".
وقد نقل العلماء هذا التعليل عن علي -رضي الله عنه- قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: سألت عليّا -رضي الله عنه- لِمَ لَمْ تكتبْ البسملة أوّل براءة، فقال: لأنّ "بسم الله" أمانٌ، وبراءة ليس فيها أمان؛ لأنّها نزلت بالسيف ولا ولا تَنَاسُبَ بين الأمان والسّيف.

- أوجهُ الابتداءِ: إذا ابتدأ القارئ قراءته بأوّل أي سورة من سور القرآن سوى براءة، فله أنْ يجمع بين الاستعاذة والبسملة وأول السورة، ويجوز له حينئذ أربعة أوجه:
- ١- قطع الجميع: أي فَصْلِ الاستعاذة عن البسملة عن أول السورة، بالوقف على كل منها، وهذا الوجه أفضلها.
٢- قطع الأول ووصل الثاني بالثالث: أي الوقف على الاستعاذة ووصل البسملة بأول السورة، وهو يلي الوجه الوجه الأوّل في الأفضليّة.
٣- وصل الأول بالثاني وقطع الثالث: أي وصل الاستعاذة بالبسملة والوقف عليها، وهو أفضل من الأخير.

٤- وصل الجميع: أي وصل الاستعاذة بالبسملة بأوّل السورة، أما إذا كان القارئ مبتدئاً بأوّل سورة براءة، فله فيها وجهان:
١- الوقف على الاستعاذة وفصلها عن أوّل السورة بدون بسملة.
٢- وصل الاستعاذة بأوّل السورة بدون بسملة أيضاً.
أمّا إذا كان القارئ مبتدئاً تلاوتَه بآية من وسط سورة غير سورة براءة، فله حالتان:
الأولى: أنْ يأتي بالبسملة، ويجوز له حينئذ الأوجه الأربعة التي ذكرناها في ابتداءِ أوّل كُلِّ سورةٍ .

- الثّانية: أن يترك البسملة، ويجوز له حينئذ وجهان فقط.
١ـ الوقف على الاستعاذة وفصلها عن أول الآية الْمُبْتَدَأِ بها.
- ٢ـ وصل الاستعاذة بالآية المبتدأ بها.
- أما إذا كان القارئ مبتدئًا بآية من وسط سورة براءة فقد اختلف فيه العلماء.
- فذهب بعضهم إلى منع الإتيان بالبسملة في أثنائها كما مُنِعَتْ في أولها، وعلى هذا يجوز للقارئ وجهان فقط:
- ١ـ الوقف على الاستعاذة.
- ٢ـ وصلها بأوّل الآية الْمُبتدأ بها.
- وذهب بعضهم إلى جواز الإتيان بالبسملة في إثناء براءة كجوازها في أثناء غيرها، وعلى هذا تجوز الأوجه الأربعة المذكورة آنفاً.
- إلاّ إذا كانت الآية المبتدأ بها مبدوءة بلفظ الجلالة فالأولى عدم الصّلَة لما في ذلك من البشاعة.
- وهذا هو مذهب الإمام الجعبري وإليه يشير صاحب لآلئ البيان بقوله:
"وخُيِّرَ البَادي بأجزاءِ السُّور ... والجعبري في براءةٍ حَظَر
- أوجهُ ما بينَ السورتينِ: إذا وصل القارئ آخر سورة يقرؤها بالتي بعدها سوى سورة براءة، فله ثلاثة أوجه:
١ـ قطع الجميع: أي الوقف على آخر السورة وعلى البسملة.

- ٢ـ قطع الأوّل ووصل الثّاني بالثّالث: أي الوقف على آخر السورة ووصل البسملة بأوّل السورة التّالية.
- ٣ـ وصل الجميع: أي وصل آخر السّورة بالبسملة بأوّل السورة التالية.
- أما الوجه الجائز عقلاً وهو وصل آخر السورة بالبسملة والوقف عليها فهو ممتنعٌ اتفاقاً؛ لأنّ البسملة جُعِلَتْ لأوائل السور لا لأواخرها.
- وأمّا إذا وصل آخر سورة الأنفال، بأوّل سورة براءة، فيجوز له ثلاثة أوجه:
- ١ـ القطع: أي الوقف على آخر الأنفال مع التنفس.
- ٢ـ السَّكْت: أي قطع الصوت لِمُدَّة يسيرة بدون تنفس.
٣ـ الوصل: أي وصل آخر الأنفال بأوّل التّوبة، وكُلّ ذلك من غير الإتيان بالبسملة كما تقدّم.
- وإلى هذا يشير الإمام الشّاطبيُّ:

وَمَهْمَا تَصِلْهَا مَعْ أَوَاخِرِ سُورَةٍ** فَلاَ تَقِفَنَّ الدَّهْرَ فِيهاَ فَتَثْقُلاَ